باب الاخبار والآراء

الشورى في بلاد فارس

تحدث الناس من زمن غير قريب بأن الشاه مظفر الدين صاحب فارس ميال للاصلاح وان هذا الميل قوي في نفسه بعد سياحته في أوربا . وكان الناس يظنون ان العقبة الكؤود في طريق الاصلاح لتلك البلاد نفوذ العلماء والمجتهدين الذين يعيشون في الحكومة الاستبدادية كالملوك والامراء واعتقادهم كغيرهم ان الاصلاح انما يكون على يد المهدي المنتظر ثم نفوذ الوجهاء والكبراء الذين رسخ في نفوسهم حب الحكومة الدستورية واستطابوا ثمراتها . ولما جاءت أنباء تلك الديار بأن العلماء والكبراء هم الذين يطلبون الاصلاح ويلحون فيه عجب الناس منهم وأعجبوا بهم وتبين لأهل البصيرة ان القول بوجوب الاجتهاد في الدين والعلم هو النور الذي هدى علماء فارس الى هذه الجادة القويمة ولا غرو فلا هداية الا بالعلم الصحيح ولا علم الا بالاجتهاد فالمجتهد أقرب الى الهدى وان ضاقت دائرة اجتهاده والمقلد أحق بالعمى وان اتسعت دائرة تقليده . وأما الاعتقاد بالمهدي فانه لا يصد عن الاصلاح اذا عقل طلابه يقولون لأن يجدنا المهدي أقوياء صالحين خير من أن يجدنا ضعفاء فاسدين (كما بينا ذلك في كتاب الحكمة الشرعية)

رضي الشاه بأن تكون حكومته قائمة على أساس الشورى الاسلامية فأمر بذلك ونزل عما كان له بمقتضى النظام القديم من الاستبداد فهنأه الملوك بذلك ماعدا السلطان عبد الحميد وفرح عقلاء المسلمين بذلك في جميع البلاد وكان أشدهم سرورا عقلاء العثمانيين وانني أقول الآن في هذا العمل الجليل كلمة هي أكبر من المقالات الضافية والقصائد البليغة وهي ان كتاب الله تعالى جعل أمر المسلمين شورى بينهم فالحكم الفردي الذي يبنى على قاعدة الاستبداد هو الحكم بغير ما أنزل الله فلا يجوز ان يسمى اسلاميا فاذا نفذ حكم الشورى في البلاد

الفارسية على وجهه وبقيت سائر حكومات المسلمين استبدادية وجب علينا ان نقول انه لا يوجد في الارض حكومة اسلامية حقيقية الا الحكومة الفارسية فالواجب علينا تأييدها لئلا يمحى حكم القرآن من الارض وانما الواجب اقامة حكمه لا حكم من يسمي نفسه سنيًّا أو غير سني وهو مخالف له

﴿ جامع ومدرسة دينية في ديروط ﴾

أكبر آيات الارتقاء البينة في هذه الديار ما نراه فيها يوماً بعد يوم من بذل المال في سبيل العلم والدين فهو على قلته في عمّ وازدياد يدل على أنه أثر لحياة جديدة في الأمة ولا ارتقاء الا بارتقاء النفوس ولا دليل على هذا الارتقاء الا بذل المال والوقت في سبيل المصلحة العامة وهي سبيل الله التي دعا اليها بدعاية الفطرة السليمة والشريعة القويمة

هزت الأريحية في هذا العام قطب بك قرشي وجه مركز ديروط الوجيه فاختط بجانب داره في بلدة ديروط مسجدا جامعاً ومدرسة دينية لتعليم العلوم الازهرية وكتّاباً تحضيرياً لها وأوقف على هذا البناء الذي يشمل ثلاثة المعاهد مئة فدان من أجود أطيانه لينفق من ريعها على المسجد والكتاب وحجرات الطلاب وعلى المعلمين والمتعلمين وشرط ان يكون التعليم فيها تابعاً للازهر في نظامه الا انه شرط ان يعلم فيها فقه المالكية والحنفية فقط ولو أطلق لكان أولى لان حوادث الزمان كثيرا ما تقضي باندراس مذهب واستبدال غيره به وقد سبق الواقف غيره الى مثل هذا الشرط فقضى الزمان على ما شرط ولو شئنا لجئنا بالشواهد على ذلك ولكن المقام ليس بمقام البحث في مثله وانما نعلم ان السبب في هذا الشرط هو احياء المذهب الذي ينتمي اليه أكثر أهالي تلك الجهة من صعيد مصر وهو مذهب المالكية والمذهب الرسمي لحكومة البلاد وهو مذهب الحنفية

وقد دعا الواقف أكابر علماء الازهر ونظارة المعارف وكثيرا من وجهاء القاهرة ومديرية أسيوط الى الاحتفال بوضع الاساس لهذا البناء فأجاب الدعوة

شيخ الازهر ومفتي الديار المصرية وطائفة من الشيوخ وأمين بك سامي من قبل نظارة المعارف وكان رئيس الاحتفال محمود بك صادق رئيس أقلام الديوان الخديوي مندوباً عن الامير وحضره أيضا مدير أسيوط ومحمود باشا سليمان وكيل مجلس شورى القوانين وكثيرون. وقد سافر المدعوون من القاهرة في قطار خاص الى ديروط يوم الخميس ثمان خلون من رجب وكان الاحتفال في يوم الجمعة عاشر رجب

بدئ الاحتفال بتلاوة آيات من القرآن الكريم ثم بتلاوة صحيفة الوقف ثم تكلم بعض من حضر وخطبوا بما يناسب المقام فقال أمين بك سامي كلاماً وجيزاً مفيداً ذكر فيه قناطر ديروط التي يتوزع منها الماء على أراضي ثلاث مديريات وشبه بها عمل قطب بك قرشي قائلا ما معناه انه يرجو أن يكون هذا العمل ناشرا للمعارف في أرجاء تلك البلاد كما توزع تلك القناطر الماء فتكون ديروط معهدا لحياة الارواح وحياة الارض

وقرأ الشيخ سليمان العبد من كبار شيوخ الازهر خطبة قال انه يتكلم بالاصالة عن نفسه و بالنيابة عن شيخ الجامع الازهر ومفتي الديار المصرية وسائر العلماء. وموضوع الخطبة ملخص ماقيل في تفسير قوله تعالى (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر) الآية وشرح الحديث الصحيح « من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة » ومن ذلك تفسير المفحص والنكتة في اختياره والكلام في كنس المساجد وتنظيفها. ثم أثنى على قطب بك قرشي الثناء الاوفى وختم كلامه بالدعاء للسلطان وللخديوي والثناء عليهما بالاطراء المعتاد. وتلاه الشيخ عبد العزيز البشري بخطبة رشيقة العبارة استهلها بالشكوى من كثرة القائلين من المصريين وقلة العاملين و بين أنه لا يرجى ان يعود الى مصر مجدها السابق الا اذا كثر العاملون وانتقل من ذلك الى الثناء على قطب بك قرشي ثم السلطان والامير بأسلوب الشعري والشيخ عبد العزيز هذا ميال الى الادبيات وأسمعني لنفسه شعرا حسنا يدل على مستقبل أحسن منه ان شاء الله تعالى. وخطب محمد أفندي أحمد الصعيدي فتكلم عن تأثير العلم في مدنية اليونان والرومان والعرب وأوربا واليابان ثم انتقل من ذلك الى شرح عمل الواقف

واطرائه ومدح السلطان والخديوي . وكان هناك آخرون قد أعدوا شيئا للخطابة فحال ضيق الوقت دون تلاوتها . وقد اقترح على صاحب هذه المجلة أن يخطب فارتجل خطابا وعى كثيرا منه مكاتب المؤيد فكتبه ونشره المؤيد وقد تذكرت بقراءته فيه ما كنت ناسيا منه و بعض ما نسيه المكاتب فأنا أنشره هنا ملخص ذلك وهو

انا نحتفل اليوم بعمل يعد من المصالح العامة فمن مقتضى المقام ان نقول كلمة في المصالح العامة وكلمة في جنس هذا العمل منها وكلمة في الاحتفال به

القيام بالمصالح العامة و بذل المال فى سبيلها هو الاساس الذي بني عليه مجد الامم وعزها وبه ساد المسلمون في الزمن الماضي وبه سادت الامم العزيزة الحاضرة وبه تسود الامم في كل زمان ومكان

كثر الكلام في هذه الايام فى ضعف المسلمين وتأخر شعوبهم عن جميع شعوب الارض في كل شيء وكثر القول في علاج هذا الضعف ومهما اختلف العقلاء في طرق العلاج فهم لا يختلفون فى أن ارتقاء الامة متوقف على وجود العاملين للمصلحة العامة الذين يبذلون في سبيل الامة أموالهم وأوقاتهم بل وأرواحهم

انا على ضعفنا في العلم والمال والرأي وجميع مقومات الحياة لا يزال فينا من جراثيم الحياة ما يكفي لانعاشنا وإقالة عثارنا اذا وجد فينا الباذلون والعاملون للامة . قال بعض عظماء الاجانب لعظيم من عقلائنا انني قلما ذاكرت الوطنيين فى مسألة الا ورأيت فهمهم فيها كفهمنا فالظاهر انه لا فرق بيننا و بينكم الا فى شيء واحد وهو كثرة الذين يهتمون بالمصالح العامة فينا وندرتهم فيكم

ان من آيات عناية سلفنا بالمصالح العامة ما بقي لنا من أوقافهم الكثيرة على أعمال البر المختلفة سيما مدارس العلم وان ما درس من تلك الاوقاف وذهبت معالمه وما عاد ملكا للجهل بأصله هو اكثر مما بقي

كيف لا يسبق المسلمون الى بذل المال في كل مصلحة عامة وعمل نافع للامة وحافظ لشرف الملة والاسلام وقد جعل بذل المال في سبيل الله من آيات الايمان بل جعله هو و بذل النفس أعظم الآيات (وههنا تلونا بعض الشواهد على ذلك من القرآن الحكيم) فالبذل في المصالح العامة هو أفضل الاعمال وأشرفها

والباذلون هم سادة الامة وعظماؤها لأن الامة لا ترتقي الا بهم لا سيما في هذا الزمان الذي لا يقوم فيه عمل عظيم الا بالمال فالبذل فيه يعد بمثابة الفتوح والباذلون في مصاف الفاتحين

لم يدع الاسلام فضيلة من الفضائل المحيية للأمم الا حث عليها وهذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم وغيره من أعظم ما يدعو الى النهوض بالاعمال التي يعم ويستمر نفعها وهو قوله « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة » فالسنة هي الطريقة الحميدة التي يعم نفعها فاذا كان الشارع قد وضع الذين يقومون بالاعمال النافعة للامم موضع الأئمة أفلا يجب ان نعرف لهم قدرهم وأن نقتدي بمثل فعلهم . ولنا ان نقول ان محيي السنة بعد موتها وانطماس آثارها يعد كالذي سنها لأول مرة لأن محيي الشيء بعد الموت كموجده من العدم فالسابقون الى حبس الاوقاف على إحياء العلم والدين وغير ذلك من أعمال البر التي ترقي الامة في هذا الزمان يعدون من واضعي السنن الذين لهم مثل أجر من يعمل كعملهم الى يوم القيامة

أكتفي بهذا القول الوجيز في المشروع من حيث هو مصلحة عامة أما كونه مسجد أو مدرسة دينية فقد رأيت في بعض الجرائد انتقادا عليه لبعض الناس يرى صاحبه أنه كان ينبغي ان يكون مدرسة ابتدائية أهلية فان المساجد كثيرة والتعليم الديني قليل الجدوى وهذا شأن الناس عندنا اليوم ينتقدون كل خير وقلما ينتقدون الشر . لو كان قطب بك أنشأ مسجده في شارع الدرب الاحمر بالقاهرة حيث المساجد تزيد على حاجة السكان ومدرسته بجانب الازهر لكان هذا الانتقاد صوابا ولكنه أسس هذا المعهد العلمي في جهة ليس فيها معهد لتعليم الدين . في الوجه البحري عدة معاهد لتعليم العلوم الدينية ووسائلها من فنون العربية تابعة للازهر كالجامع الأحمدي وجامع المرسي وجامع الدسوقي (وجامع دمياط) وليس في الوجه القبلي معهد لذلك على أن الوجه القبلي أحوج لان أهله أفقر والرحلة أشق عليهم وأعسر . فلم يبق الا ان المنتقد يرى ان التعليم الديني لا حاجة اليه بالمرة ولا أحب أن أصف صاحب هذا الرأي بما أراه يليق

به فحسبه مايراه الناس من قيمة رأيه

ما هو الأثر الذي رآه المنتقد للتعليم الابتدائي في البلاد ففضله به على التعليم الديني ؟ اننا نرى أكثر المتعلمين في المدارس الابتدائية لم يزيدوا أمتهم الا خبالا و بلادهم الا خرابا لأنهم لاهم لهم الا اللذات الحيوانية والملاظ الشخصية ومهما كان حال طلاب العلوم الدينية رديئا فانه لا يبلغ ماهم عليه من الفساد

التعليم الديني اذا أدي على حقيقته تترقى النفوس وتقل الجرائم والفواحش و يندر سلب الاموال ونهش الاعراض و يكثر الصدق والامانة والمودة في الناس . قد يقال إن هذا التعليم عندنا ناقص ليس له مثل هذه الآثار الجليلة نعم ان التعليم الديني عندنا ناقص ولكن الواجب علينا ان نسعى في تكميل الخير الناقص لا في ازالته من الوجود بالمرة . ليس التعليم الديني هو الناقص وحده فينا . ان كل شيء عندنا ناقص ولو كملنا في شيء من أمور الاجتماع لسهل علينا ان نكمل في غيره لان الكمال يمد بعضه بعضا

لست أعني بما قلت في التعليم الابتدائي انه لا حاجة اليه كيف وهو وسيلة للرقي الى تعليم أعلى منه لا ترتقي البلاد بدونه وانما أعني أن فائدته دون فائدة التعليم الديني ومفسدته ان لم يجعل وسيلة للكمال أشد من مفسدة النقص في التعليم الديني كما هو مشاهد . نحن في أشد الحاجة الى تعميم التعليم الابتدائي والسعي في تكميل نقصه بحسن التربية وجعله وسيلة لما فوقه . وفي الوجه القبلي مدارس ابتدائية كثيرة للحكومة وغيرها وفي أبي تيج مدرسة صناعية لسعادة محمود باشا سليمان . فغرضي مما قلت أن أبين ان عمل قطب بك في محله فان التعليم الدنيوي متيسر في الوجه القبلي دون التعليم الديني الذي هو انفع منه بل هو الذي لا بد منه

أما الكلام في الاحتفال بهذا العمل النافع فقد سمعت بعض الناس هنا يقولون انه لا حاجة اليه ولا فائدة في مثل هذه الزينة وهذا الاحتفال بمثل هذا المشروع الديني وأنا أعد هذا من قصر النظر ولو بعد نظر المنتقد لرأى ان تأثير هذا الاحتفال في نفخ روح القدوة والمباراة في المصالح العامة أبلغ من تأثير الخطب والمواعظ والشعر . فان احتفالا يجيب الدعوة اليه العلماء الاعلام ومندوب الامير

والحكومة ووجهاء الامة ينظر اليه الناس بعين الرضا و بعد حضور هؤلاء شهادة فعلية بنفعه وشكرا لمن قام به لسان الحال فيهما أفصح من لسان المقال . واذا كان المحتفل يدعي باحتفاله الترغيب في مثل عمله فانه يثاب عليه أكثر مما يثاب المرء على العمل الصالح الخفي وإظهار العمل لا يستلزم الرياء وحب الثناء على أن حب الثناء في الحق لا ينافي الاخلاص في العمل

ثم ختمنا القول بحث الأغنياء على الاعمال النافعة للأمة والدعاء باصلاح الراعي والرعية وتوفيق الجميع الى القيام بما فيه سعادة الامة

﴿ أخبار نجد ﴾

ذكرنا من قبل ما كان من اعتداء ابن الرشيد وتنكيل ابن سعود به و بقومه و بعد أن قتل صار ولده متعب أميرا مكانه وقد كان من أمر ابن سعود بعد ذلك أن استولى على اكثر عربان ابن الرشيد وزحف عليه حتى نزل على ماء يقال له العدوه يبعد عن حايل (بلد ابن الرشيد) نحو ست ساعات فاستعد متعب للحصار وضاقت عليه الدنيا لان بلده ليس فيها من القوت ما يغنيها عما يأتيها من العراق فتوسل بابن عون باشا شيخ الزبير بان يوسط ابن صباح شيخ الكويت في الصلح بينه و بين ابن سعود فذهب شيخ الزبير بنفسه الى الكويت على ما كان بينه و بين ابن صباح منذ سنوات من الشحناء فأكرم ابن صباح وفادته وقبل شفاعته وكتب الى ابن سعود يرغب اليه بأن يرجع عن محاصرة متعب بن الرشيد حتى يتذاكر معه فيما ينبغي فأجاب ابن سعود رغبته ولا ندري على أي شيء تم ذلك الصلح ولعله على ترك ابن الرشيد على ما بقي له هو وبلده وما يحيط به وما يحيط به الا شيء قليل كما علم مما تقدم

أما سير الدولة هناك فانها بعد ما كان من فيضي باشا من ازالة سوء التفاهم بين ابن السعود والدولة قد عينت سامي باشا متصرفا لنجد فأقام في المدينة المنورة ثم ذهب الى نجد منذ أشهر فأقام في الشيحة مع العساكر المنظمة التي هناك (والشيحة قرية من قرى القصيم) وكان متعب ابن الرشيد قد استقبله بالحفاوة قبل وصوله

الى القصيم في قرية سميره التابعة لحايل وقدم له الهدايا وكان له صلة بأعوانه في المدينة والظاهر أنه أراد أن يستعين به على ابن سعود ويقال انه هوّن عليه شأنه. ثم طلب المتصرف من ابن سعود ان يلاقيه فالتقيا في البكيرة من قرى القصيم وهي التي وقعت فيها الملحمة الفاصلة التي قتل فيها عبد العزيز بن الرشيد. جاء ابن سعود في جيش من البدو والحضر يبلغ نحو خمسة آلاف. وقد طلب المتصرف من ابن سعود ان يترك له القصيم ينزل هو والعسكر في قصر بريده وقصر عنيزه ويكون هو الحاكم للقصيم يجمع المال ويستقل بالحكم. وكان شيوخ القصيم حاضرين هذا الاجتماع مع ابن سعود فأبوا على المتصرف ذلك وسأله ابن سعود هل يحمل أمرها من الدولة بذلك فقال لا قال ابن سعود اننا خاضعون لامر أمير المؤمنين وقد عاهدنا المشير فيضي باشا على السمع والطاعة وأنت تعلم ان بلادنا فقيرة لاغناء فيها لاهلها فنحن لا نرضى بأن نغير شيئا مما نحن عليه فاذا لم يكن معك أمر من السلطان بشيء فلا نقبل لك قولا واذا كان عندك أمر من السلطان فاننا نطلع عليه فاذا كان سهلا علينا قبلناه واذا كان شاقا فاننا نرفع أمرنا الى أمير المؤمنين مسترحمين في رفعه عنا ولا نشك في أنه يرحمنا ولا يكلفنا ما يشق علينا ولا تحمله طبيعة بلادنا. ووافقه الشيوخ على ذلك. وقد أثنى المتصرف على منعب بن الرشيد ووصفه بالاخلاص للدولة ففهم ابن سعود انه يعرض به فاستاء وافترقا مغضبين

ومن أخبار تلك البلاد ان أهل البادية أكثروا الاعتداء على العساكر بالاعتداء والنهب والسرقة فلما أعياهم أمرهم خاطب المتصرف ابن سعود في حماية العسكر من البدو وكان ابن سعود لا يزال مغضبا مما قابله به المتصرف من العظمة والفطرسة ومن مدح خصمه في وجهه فاجابه انك أنت والعسكر ما جئتم الا لحمايتنا فكيف تطلبون منا أن نحميكم فلما رأى المتصرف ان جميع بلاد نجد خاضعة لابن سعود وأنه لا يقدر على الاقامة هناك مع مناوأته والتكبر عليه ألان له القول وأرسل اليه الفرس الذي أهداه اليه منعب بن الرشيد هدية وكتب اليه بأنه اذا لم يقبل الفرس فانه يقتله ولا يبقيه عنده فقبله وأمر الاعراب بالكف عن العسكر فأطاعوا وحسنت الحال. وكان ذلك قبل الصلح مع منعب